

دروس وفوائد من آية الكرسي

للشيخ عبد الرزاق البدر

25 مجلسا

المجلس السابع :

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدُ الله عزَّ وجلَّ أن منَّ عليّ بتفريغ هذه المجالس العلمية النافعة والتي ألقاها الشيخ عبد الرزاق البدر — حفظه الله — والتي عددها 25 مجلسا حول فوائد آية الكرسي .

كما أودّ أن أنبه إخواني أن الكلمة التي تحتها خط يجب مراجعتها و أن الأحاديث النبوية فهي مكتوبة كما هي مسموعة من الشيخ و أيضاً لا أسمح أن يُعتمد على هذا التفريغ دون مرافقة المادة الصوتية معه أو أن يأذن الشيخ .

هذا وأرجوا من الله سبحانه وتعالى أن يكتُب لي الأجرَ قدرَ ما يستفيدُ وينتفع به المسلمون من هذا العمل ، ومن سَاهمَ أيضاً في نشره.

ما جاء في المجلس السابع :

وقفة مع الذين يلحدون في أسماء الله بالنفي والإثبات .

اسم الله — العليّ — .

ذكر الأدلة على علو الله من القرآن والسنة .

التفريغ :

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ ونتوبُ إليه ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا وسيئاتِ أعمالنا من يهدهُ الله فلا مُضِلَّ له ومن يُضِلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبدهُ ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمتنا اللهم علِّمنا ما ينفعنا وزدنا علما .

أيها الإخوة : لا يزال الحديثُ ماضياً حولَ آية الكرسي التي هي أعظمُ آي القرآن وأفضلهُ على الإطلاق ، وقد مرَّ الكلامُ في درسِ الأمس واليوم الذي قبله عن أسماء الله تبارك وتعالى الحسنى التي اشتملت عليها هذه الآية ، حيث أنها اشتملت علي خمسٍ من أسماء الله تبارك وتعالى الحسنى ، وقد مضى الكلام على أسماءٍ ثلاثة وهي : ((الله)) و ((الحيِّ)) و ((القيُّوم)) وبقيَ الكلام على اسميه تبارك وتعالى اللذين خُتِمتَ بهما الآية وهما : ((العليِّ العظيم)) .

ومِمَّا ينبغي أن يُعلم أن النهج الذي ينبغي أن يكون عليه كلُّ مسلم اتِّجاهُ أسماءِ الله وصِفاته الواردة في كتابه وسنة نبيه — صلى الله عليه وسلم — هو الإيمانُ بها كما جاءت وإمرارها كما وردت دون أن يتدخلَ العبد فيها بالنفي أو الردّ أو التحريف والتأويل أو

التكليف أو التمثيل أو نحو ذلك من السبل الباطلة والطرائق المحرمة التي سلكها أهل البدع والأهواء ، والله جلّ وعلا لما ذكر أنّ له الأسماء الحسنى حذر من الإلحاد فيها أشدّ التحذير فقال جلّ وعلا : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ والآية اشتملت على التحذير من الإلحاد في أسماء الله جلّ وعلا من وجهين : الوجه الأول في قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ أي : أتركوهم وجانبوهم وابتعدوا عنهم واحذروا سبيلهم وابتعدوا عن طريقهم ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ وهذا فيه ذمّ بالغّ لهم ولطريقتهم ومسلكتهم السيئة اتّجاه أسماء الله تبارك وتعالى ، والوجه الثاني في قوله عزّ وجلّ في تمام الآية : ﴿ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ يُجزون أي : يُعاقبون ويُحاسبون على هذا العمل ، ولم يذكر تبارك وتعالى نوع العقاب وفي هذا دلالة على شدّته وفضاعته وهول المطلع لهؤلاء لقاء هذا الجرم العظيم والذنب الكبير ألا وهو الإلحاد في أسماء الله ، وقد ذكر العلماء — رحمهم الله — أنّ الإلحاد في أسماء الله جلّ وعلا هو الميلُ بها والعدولُ بها عن الحقّ الثابت لها ، وهو مأخوذٌ في اللغة من مادّة لَحَدَ التي تدلُّ على الميل ، يقال : ألحد السهم عن الرميّة أي : مال ، ويُسمّى اللحدُ لحداً للميل الذي يكون فيه عن الاستقامة في الحفر ، والإلحاد في أسماء الله هو الميلُ بها عن الحقّ الثابت لها ، الحقّ الثابت لها هو إثباتها والإيمانُ بها وإمرارها كما جاءت والإيمانُ بها كما وردت ، إثباتُ الأسماء وإثباتُ المعاني التي دلّت عليه ، فأسماءُ الله تبارك وتعالى أعلامٌ وأوصافٌ ، أعلامٌ لكونها دالّةٌ على ذاته سبحانه وأوصافٌ لكونها دالّةٌ على ثبوتِ صفات الكمال له عزّ وجلّ على الوجه اللائق بجلاله وكماله سبحانه ، هذا هو الحقّ الثابت لها والإلحاد هو الميلُ بها عن ذلك ، ولهذا قال العلماء : ليسَ الإلحادُ فيها نوعاً واحداً بل هو أنواعٌ كثيرةٌ يجمعها الإلحاد يعني : — يجمعها وصفُ الإلحاد — وإن كانت الطُرُق متفرقة ومُختلفة ، فمنَ الإلحادِ في أسماء الله تبارك وتعالى : أن تُثبتَ أسماءُه أعلاماً مُجرّدة لا تدلُّ على المعاني أو الإدّعاء أنها مُجرّد

أعلام لا تدلُّ على أوصاف كما يقول المَعْطَلَّة : سَمِيعٌ بلا سَمْع ، بصِيرٌ بلا بَصَر ، عَلِيمٌ بلا عِلْم ، تعالى الله عما يقولون وسبحان الله عما يصفون ، فهذا من الإلحاد في أسماء الله ولا يكون العبدُ مؤمناً بها إلا إذا آمَنَ بالصفة التي دلَّ عليها الاسم وتضمَّنَها ، ومن الإلحاد فيها تحريفها عن معناها ، وتحريف المعنى هو أن يُعْطِيَ الاسم أو الصفة معنى اسمٍ آخر أو معنى صِفَةٍ أخرى كالذي يقول مثلاً : رحمةُ الله هي نِعْمَتُهُ أو يقول غضبُ الله هو عِقَابُهُ أو نحو ذلك ، فهذا تحريفٌ والتحريفُ إلحادٌ في أسماء الله لأنَّهُ مالٌ بها عن ((انقطاع يسير في

الصوت)) ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ويقول جلَّ وعلا ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ، فكلُّ ما تقدَّم طرائقُ شتى وكلُّها يجمعُها وصفُ الإلحاد وإن كانت طرقاً مُختلفة وسُبُلًا مُتباينة إلا أنَّ الوصف الجامع لها كلُّها الإلحاد في أسماء الله عزَّ وجلَّ ، فإنَّ المطلوب من المسلم أن يؤمِّنَ بأسماء الله عزَّ وجلَّ الواردة في كتابه وأن يحذرَ من هذا الإلحاد في أسماء الله الذي حذَّرَ منه ربُّ العلمين ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ذرُّوهم كما تقدَّم أي : ابتعدوا عنهم واحذروا سبيلهم وجانبوا طريقهم وإياكم وإياهم لا تقربوهم ، ثمَّ إشارةُ الله تبارك وتعالى إلى العقاب الشديد والتكال الفظيع الذي أعدَّه لهؤلاء ، فكلُّ ذلك يجعل المسلم يخافُ خوفاً شديداً ويحذرُ حذراً بالغاً من الدخول في مثل هذه المترلقات ومثل هذه الورطات التي وقعَ فيها من وقع .

ومِمَّا ينبغي أن يُعلم أنَّ الخطأ في أسماءِ الله تبارك وتعالى وصفاته ليس كالخطأ في اسمٍ آخر سواءً إنْ أثبتَ العبدُ ما نفاهُ الله عن نفسه أو نفى عن الله ما أثبتَهُ لنفسه و إلى هذين النوعين ترجع الأخطاء في هذا الباب ، مُحصَّل الأخطاء في هذا الباب إمَّا نفْيٌ لما أثبتَ الله أو إثباتٌ لما نفى الله ، ينفي تبارك وتعالى عن نفسه المثل فيقع المُلحد بإثبات المثل أو يُثبت لنفسه تبارك وتعالى صِفَةً فيأتي المُلحد وينفيها ، ولهذا ترجع الأخطاء في هذا الباب

إلى هذين الأمرين : إما إثبات ما نفى الله أو نفي ما أثبت الله ، وجادة أهل السنة في هذا الباب وعقيدتهم في هذا الباب أنهم يُثبتون لله ما أثبتته لنفسه وما أثبتته له رسوله عليه الصلاة والسلام من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل وينفون عن الله ما نفاه عن نفسه وما نفاه عنه رسوله — صلى الله عليه وسلم — عقيدتهم في الباب كما يقول الأوزاعي : ((**ندورُ مع السنة حيث دارت**)) أي : نفيًا وإثباتًا ، فما ثبت في الكتاب والسنة أثبتناه وما نُفي في الكتاب والسنة نفيناه ولا نتجاوز القرآن والحديث ، يقول الإمام أحمد — رحمه الله — : ((**ونصفُ الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله — صلى الله عليه وسلم — لا نتجاوز القرآن والحديث**)) .

فهذه طريقة أهل السنة في الإثبات وفي النفي ، إثبات بلا تمثيل وتزیه بلا تعطيل ، أما أهل الأهواء فتجد منهم من ينفي ما أثبت الله ومنهم من يُثبت ما نفى الله وكلٌّ من الخطأين في غاية الخطر على قائله ، وسأضرب لكم على ذلك مثالين من القرآن تبياناً لخطورة الأمر وفداحة هذا العمل سواءً أن يُثبت الإنسان ما نفى الله أو ينفي ما أثبت الله : في مقام الإثبات يقول الله تبارك وتعالى عن طائفة من الناس تكلموا في صفة العلم لله جلّ وعلا ، ماذا قالوا ؟ يقول الله تعالى : ﴿ **وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ هذا ما هو الخطأ ؟ هو خطأ في باب الأسماء والصفات لكن ما نوعه ؟ نفي ما أثبت الله ، ولاحظ هنا لم ينفوا الصفة من أصلها ولم يحدوها من أساسها وإنما هم أثبتوا العلم ولكنهم نفوا إحاطة العلم ، لم ينفوا العلم أصلاً وإنما أثبتوه ولكنهم نفوا الإحاطة وشُمول العلم وسعته ، ولهذا قالوا في عقيدتهم التي أشار الله إليها في قوله : ﴿ **وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا** ﴾ إذن في إثبات لأصل الصفة ماذا ترتب على ذلك ؟ ﴿ **وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ * **وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ** * **فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ** ﴾ وتُدرك بهذا أن الخطأ

في هذا الباب مُتَرَلِّقُ يُوصِلُ من وقع فيه في الهلاك والردى ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ردى وهلاك وخسران هذا ترتب على هذا الخطأ الذي يتعلّق بِصِفَةٍ وَاحِدَةٍ وهي صفة العِلْمِ ولم ينفوها من أصلها فكيف بمن يأتي على عُموم الصِّفَاتِ نَفِيًّا وتعطيلاً كما يفعلُه أهل البدع والأهواء من مُعْطَلَةِ صِفَاتِ الرَّحْمَنِ الثَّابِتَةِ في كِتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — ، ثُمَّ إِنَّكَ تَعْجَبُ غَايَةَ الْعَجَبِ إِذَا رَأَيْتَ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ إِذَا قرأ القرآن ووقفَ على الآياتِ الَّتِي تُثَبِّتُ الصِّفَاتِ لِلَّهِ يَقِفُ عِنْدَهَا لَيْسَ وَقُوفَ الْمُؤْمِنِ الْمُسْلِمِ وَإِنَّمَا يَقِفُ عِنْدَهَا وَقُوفَ الْمُتَنَقِّدِ الْمُعْتَرِضِ تَارَةً يَقُولُ هَذَا لَا يَلِيقُ بِاللَّهِ وَتَارَةً يَقُولُ هَذَا لَا يَصْلَحُ أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ بِهِ وَتَارَةً يَقُولُ يَلْزَمُ مِنْ إِثْبَاتِهِ لِلَّهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ ، وَكُلُّهَا وَقِفَاتٌ لَرَدِّ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ رَبُّ الْعَالَمِينَ يُثَبِّتُ لِنَفْسِهِ كَيْفَ يَتَجَرَّأُ هَؤُلَاءِ بِعُقُولِهِمُ الْقَاصِرَةِ وَأَفْكَارِهِمُ الضَّعِيفَةِ وَأَفْهَامِهِمُ الرَّدِيعَةِ لِيَنْفُوا عَنِ اللَّهِ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ النِّقَاطِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وَمِنْ أَعْظَمِ الْقُفُوفِ لِمَا لَيْسَ لِلْعَبْدِ بِهِ عِلْمٌ ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ وَمِنْ أَعْظَمِ الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ بِمَا لَا عِلْمَ لَهُ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿فَالْمَسْأَلَةُ جَدُّ خَطِيرَةٍ ، فَهَذَا الْآنَ مِثَالٌ لِلْخَطَأِ فِي جَانِبِ الْإِثْبَاتِ بِأَنْ يَنْفِي الْإِنْسَانُ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ ، الْجَانِبِ الْآخَرُ : وَهُوَ جَانِبُ النِّفْيِ بِأَنْ يُثَبِّتَ اللَّهُ مَا نَفَاهُ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ ، رَبُّ الْعَالَمِينَ نَفَى عَنْ نَفْسِهِ الْوَلَدَ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، نَفَى عَنْ نَفْسِهِ الْوَلَدَ وَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ الْوَلَدِ لِأَنَّ الْوَلَدَ عَنْ حَاجَةٍ وَافْتِقَارٍ وَضَعْفٍ وَنَقْصٍ وَاحْتِيَاجٍ وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُتَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ لَمَّا أَثَبَّتَ قَوْمٌ هَذَا الَّذِي نَفَاهُ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ مَاذَا قَالَ اللَّهُ عَنْهُمْ ؟ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ أَي : عَظِيمًا فَضِيعًا كَبِيرًا خَطِيرًا ، ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا

يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿﴾ فهذا الخطأ ما نوعه ؟ إثبات ما نفاه الله عن نفسه وانظر ماذا ترتب عليه .

ولهذا المسلم في هذا الباب يمشي على جادةٍ سوِيّةٍ وصراطٍ مستقيمٍ وسبيلٍ واضحةٍ ألا وهي أن يُثَبِّتَ لله ما أثبتَهُ لنفسِهِ وينفي عنه سبحانه وتعالى ما نفاهُ عن نفسه ولا يتجاوزُ كلام الله وكلام رسوله — صلى الله عليه وسلم — .

هذا تقعيدٌ وتأصيلٌ لأبَدٍ ليكون المسلم في سيرِهِ في هذا الباب على سَنَنِ واضحٍ وطريقةٍ بيّنة وهي الطريقة التي كان عليها أهل السنّة والجماعة وجانبها أهل البدع والأهواء .

اسم الله تبارك وتعالى ((العليّ)) وهو أحد الاسمين اللذين خُتِمتَ بهما آية الكرسي قال

: ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ ، القاعدة عرفناها في الباب أن كلّ اسمٍ من أسماء الله تبارك وتعالى يُشتَقُّ له منه صِفَةٌ كمال ، فالعليّ هذا الاسم يدلُّ على ثُبُوتِ العُلُوِّ صِفَةً لله ، فمن لا يُثَبِّتَ علوَّ الله تبارك وتعالى ما آمَنَ باسمِهِ العليّ ، فاسمُهُ — العليّ — دالٌّ على صِفَةِ العُلُوِّ كما أن اسمه السميع دالٌّ على صِفَةِ السمع و البصير البصر و الرحيم الرحمة و الغفور المغفرة و العليّ العُلُو ، فمن لم يُؤْمِنَ بالعُلُوِّ صِفَةً لله لم يُؤْمِنَ باسمِهِ تبارك وتعالى — العليّ — والله عزَّ وجلَّ سَمَّى نفسه في القرآن بثلاثة أسماء حُسْنَى كلّها تدلُّ على هذه الصفة : —

العليّ — في هذه الآية وآيات أخرى و — المُتَعَال — في سورة الرعد : ﴿ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ

﴾ و — الأعلى — في سورة الأعلى : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ وكلّ هذه الأسماء

الثلاثة دالّة على ثُبُوتِ العُلُوِّ صِفَةً لله جلّ وعلا ، دالّة على ثُبُوتِ العُلُوِّ لله سبحانه وتعالى ذاتاً وقدرّاً وقهراً ، فهذه معاني العُلُوِّ وكلّها ثابتة لله تبارك وتعالى بقوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ

الْعَلِيُّ ﴾ وقوله : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ وقوله : ﴿ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ كلّ ذلك

دالٌّ على ثُبُوتِ العُلُوِّ لله سبحانه وتعالى ذاتاً وقدرّاً وقهراً .

ذاتاً أي : أنه سبحانه وتعالى عليّ بذاته فوق مخلوقاته كما أخبر في آيات أخرى باستوائه على العرش ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ ، ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ فهو تبارك وتعالى بذاته عليّ فوق مخلوقاته .

وقدراً أي : أنه سبحانه وتعالى له الصفات الكاملة والنُعمت العظيمة التي لا نقصَ فيها بأيّ وجهٍ من الوجوه .

وقهراً أي : الذي قهرَ بقدرته ومشيتته جميعَ مخلوقاته ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ وجميعُ المخلوقات مُفتقرةٌ إليه سبحانه وتعالى .

فاسمُهُ تبارك وتعالى — العليّ والأعلى والمتعال — كلّها دالّة على ثبوتِ العُلُوّ له عزّ وجلّ بمعانيه الثلاثة : علو الذات وعلو القدر وعلو القهر ، وكثيرٌ من الخائضين خوضاً خاطئاً في هذه المسألة لا يُنازعون في ثبوتِ علو القدر وعلو القهر ولكنهم يُنازعون في ثبوتِ علو الله بذاته فوق مخلوقاته ، ومُنازعتهم ناشئةٌ عن افهام كاسِدة وعُقولٍ فاسِدة وضلالٍ في هذا الباب العظيم ، فلا يُثبتون لله تبارك وتعالى العُلُوّ بذاته فوق مخلوقاته ، وينبغي أن نعلم هنا أنّ من لا يُثبت علو الله عزّ وجلّ بذاته فوق مخلوقاته ليس أمامه بعد ذلك إلا عقيدتين باطلتين أشدّ البُطلان ، ما هما ؟ العقيدة الأولى إمّا أن يقول — والعياذ بالله — الله في كلّ مكان تعالى الله عن ذلك علوّ كبيراً أو يقول الله لا فوق ولا تحت وداخل عالم ولا خارجه إلى آخرِ هذا الضلالِ والباطلِ — والعياذ بالله — والذي هو وصفٌ للعدم ، فليس أمام من يجحد العُلُوّ إلا إحدى عقيدتين : إمّا القول بأنّه في كلّ مكان أو النفي المحض الذي هو وصفٌ للعدم.

ثمّ كيف يصير هؤلاء إلى هذه العقائد الباطلة وبين أيديهم كتابُ الله وسنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وفيهما الدلائل الواضحات والحُجج البيّنة حتى قال بعضُ العلماء : إنّ الآيات والأحاديث التي تدلُّ على العُلُوّ في القرآن والسنة ليست بالعشرات

ولا بالمئات بل بالآلاف ، وابن القيم — رحمه الله — في نونيته الشهيرة يقول وهو يتحدث عن أدلة صفة العلو: ((يا قومنا والله إن لقولنا ألفاً تدل عليه بل ألفان)) ، الأدلة في القرآن بالآلاف الدالة على علو الله وكذلك سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فأين يذهب هؤلاء من هذه الآيات البينات والدلائل الواضحات .

ولعل من المستحسن أن نقف وقفة في عرض لبعض دلائل القرآن والسنة المتنوعة على علو الله سبحانه وتعالى ونقسمها إلى أنواع أمكن في الفائدة وأجمع للموضوع :
من الدلائل في القرآن والسنة على العلو أسماء الله الحسنى الدالة على علوه وقد مرت : —
العلي والأعلى والمتعال — .

النوع الثاني : من دلائل العلو إخباره تبارك وتعالى بالفوقية على عباده كما في قوله : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ وكما في قوله : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ وجاء في الحديث الصحيح لما حكم سعد بن معاذ في يهود بن قريضة بأن تقتل مقاتلتهم وتُسبى ذراريهم وأموالهم قال النبي — صلى الله عليه وسلم — : ﴿ لَقَدْ حَكَمَ فِيهِمْ — يعني سعد — بِحُكْمِ اللَّهِ الَّذِي حَكَمَ فِيهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ ﴾ ، ولما نزل قول الله تعالى : ﴿ زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ أخذت تسخر زينب بنت جحش — رضي الله عنها — على نساء النبي — صلى الله عليه وسلم — وتقول في كلامها تقول : ((زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وَزَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ)) فهذا نوع من أنواع أدلة العلو إخبار الله تبارك وتعالى عن نفسه بالفوقية وإخبار رسوله — صلى الله عليه وسلم — عنه بذلك .

النوع الثالث : آيات وأحاديث فيها ذكر العروج إلى الله سبحانه وتعالى والعروج إلى أين ؟ إلى أعلى ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ يعني إلى رب العالمين ، فالعروج إلى أعلى ونبيينا عليه الصلاة والسلام في قصة المعراج المتواترة عرج به إلى السماء وفي الحديث كان

يتردد صاعداً ونازلاً بين موسى ورب العالمين ، فهذا من دلائل العلو ، وجاء في الحديث الصحيح أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : ﴿ يَتَعَابُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاتِي الْعَصْرِ وَالْفَجْرِ ثُمَّ يَعْرُجُونَ — إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى — فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ — يعني إذا عرجوا وصعدوا إليه — وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ : كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي ؟ قَالُوا : أَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَتَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ﴾ وانظر هذه الفضيلة العظيمة لمن يَمُنُّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالمُحَافَظَةِ عَلَى صَلَاتِي الْفَجْرِ وَالْعَصْرِ فِي بُيُوتِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَمَا أَمَرَ اللَّهُ وَكَمَا أَمَرَ رَسُولُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

النوع الرابع : أدلة عديدة فيها ذكرُ الصعود إلى الله سبحانه وتعالى ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ إليه : إلى من ؟ إلى الله إلى العلو حيثُ رب العالمين جلّ وعلا ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ وجاء في الصحيح عن النبي — صلى الله عليه وسلم — : ﴿ مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدَلٍ تَمْرَةٍ — أَوْ بِمَا يُعَادِلُ تَمْرَةً — مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ — هَكَذَا يَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ — إِلَّا أَخَذَهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِيَمِينِهِ وَرَبَّاهَا لَهُ كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فُلُوهُ — أَوْ فَصِيلَةً — حَتَّى تَكُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلَ الْجَبَلِ ﴾ تمرة واحدة أو ما يُعَادِلُ تَمْرَةً مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ يَأْخُذُهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِيَمِينِهِ وَيُرِيهَا لَهُ مِثْلَ مَا يَعْنِي أَحَدُنَا بِفَصِيلَةٍ — وَلَدَ الْخَيْلِ الصَّغِيرِ — مُحْتَفِيًّا بِهِ مُعْتَنِيًّا بِهِ مُرَبِّيًا لَهُ قَالَ : ﴿ فَيُرَبِّيَهَا لَهُ كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فُلُوهُ حَتَّى تَكُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلَ الْجَبَلِ ﴾ الشاهد قوله عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ ﴾ والصُّعُودُ إِنَّمَا يَكُونُ إِلَى أَعْلَى .

النوع الخامس : أدلة عديدة في القرآن والسنة فيها إخبارُ الربِّ سبحانه وتعالى عن نفسه بأنَّه في السماء وإخبارُ رسوله — صلى الله عليه وسلم — عن ربِّه بذلك وفي سورة الملك يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمْ نَكُنْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ ، ﴿ أَلَمْ نَكُنْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ ، ﴿ أَلَمْ نَكُنْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ .

مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴿﴾ من هو ؟ ربّ العالمين ، وهذا فيه تهديد ووعيد لهؤلاء على شركهم وباطلهم في أمر يعلمونه كان المشركون الذين بُعثَ فيهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يعلمون أنّ الله في السماء حتى قالوا ذلك في أشعارهم يقول أحدهم في بيت له مخاطباً زوجته :

يا عبلُ أينَ منَ المنيّةِ مَهْرَبُ ***** إن كانَ ربِّي في السماء قضاها .

هذا شاعر جاهلي مُشركٍ لكنّه مع قولٍ هذا يعبدُ الأصنام ، جاء في المسند وغيره أنّ النبي عليه الصلاة والسلام لقيَ أحدَ المشركين قال له : ﴿ كم إلهاً تعبد ﴾ قال : سبعة ، ستة في الأرض وواحد في السماء ، يعرفون أنّ الله في السماء ، قال له عليه الصلاة والسلام : ﴿ مَنْ مِنْهُمْ الَّذِي تَجْعَلُ لِرَغَبِكَ وَرَهَبِكَ ﴾ يعني من هؤلاء السبعة إذا اشتدّ بك الحاجة واشتدّ بك الأمر من الذي تلتجأ إليه من هؤلاء ؟ ، قال : الذي في السماء ، قال : ﴿ إذا اترك الذي في الأرض وأعبد الذي في السماء ﴾ فهذا من الدلائل على علو الله تبارك وتعالى ، ولما صكّ والحديث في صحيح مسلم الصحابي الجارية التي عنده ، عندما عاد ذئبٌ على الغنم التي له كانت ترعاهما فصكّها صكّة فجاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام مُعْتَذِراً وقال : هل أعتقها يا رسول الله ، قال : ﴿ ائْتِنِي بِهَا ﴾ فجاءَ بها إلى النبي عليه الصلاة والسلام فسألها سُؤالين يُختبرُ إيمانها ويمتحنُ عقيدتها قال لها : ﴿ أينَ الله ﴾ قالت : في السماء ، قال : ﴿ مَنْ أنا ﴾ قالت : أنت رسولُ الله ، قال : ﴿ أعتقها فإنّها مُؤمّنة ﴾ دليلُ إيمانها وإيمانها بعلو الله سبحانه وتعالى وتصديقها بالرسول الكريم عليه الصلاة والسلام وأنّه رسول مُرسلٌ من ربّه قال : ﴿ أعتقها فإنّها مُؤمّنة ﴾ ، وفي الحديث يقول عليه الصلاة والسلام : ﴿ ألا تؤمّنونني وأنا أمينٌ من في السماء ﴾ يعني أمينُ الله ، ائتمّني الله ، وفي الحديث الآخر يقول عليه الصلاة والسلام : ﴿ ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ﴾ يعني الله جلّ وعلا ، ومثُلُ هذا كثير جدّاً ، والمُرَاد في السماء أي : على

السماء لأنّ — في — تأتي بمعنى — على — ومن ذلك قوله تعالى : ﴿لَأَصْلَبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ وإذا أردت أن تقف على هذه الفائدة بوضوح تأمل الحديث الذي ذكرته لك آخرًا : ﴿ارحموا من في الأرض﴾ ماذا تفهم من هذه الجملة ؟ هل تفهم منها أنّ المراد من في الأرض أي : بباطنها ، وربّما لو أنّ إنسان يأتي ويفهم هذا الفهم يقول الحديث خاصّ بالديدان التي في باطن الأرض أمّا الناس التي تمشي على الأرض ما يشملها الحديث ، ﴿ارحموا من في الأرض﴾ — في — تأتي بمعنى — على — كثيرًا ما تأتي في النصوص ﴿ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء﴾ أي : من على السماء وهو ربّ العالمين جلّ وعلا ، فمعنى — في السماء — أي على السماء ، فهذا من أنواع الأدلّة على علوّ الله تبارك وتعالى على خلقه .

النوع السادس : نصوص في الكتاب والسنة فيها إخبار الله تبارك وتعالى عن نفسه بأنّه استوى على العرش وهذا جاء في القرآن في سبعة مواضع كلّها يُخبر فيها ربّ العالمين عن نفسه بأنّه استوى على العرش ، ومعنى استوى قولاً واحداً عند أئمة السلف وعلماء اللغة أي : علا وارتفع ، استوى على السماء أي : علا وارتفع على السماء علّوا وارتفاعاً يليقُ بجلاله وكماله تبارك وتعالى ، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ ، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ فهذه من الدلائل على علوّ الله تبارك وتعالى على خلقه .

أيضاً من الدلائل ما جاء في أحاديث كثيرة فيها رفع الأيدي بالدعاء ، والمسلم عندما يمدّ يديه ويرفعهما ، يرفعهما لمن والرفع ماذا يعني؟ يقول عليه الصلاة والسلام : ﴿إِنَّ اللَّهَ حَبِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا﴾ فرفع اليدين في الدعاء هذا فيه إيمان بالعلو ، وفي الحديث الآخر قال عليه الصلاة والسلام : ﴿إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمدّ يديه إلى السماء ياربّ . ياربّ ، فمدّ اليدين إلى السماء هذا فيه إيمان بعلوّ الله تبارك وتعالى .

أيضاً من أنواع الأدلة على علو الله ما جاء في السنة من إشارة النبي — صلى الله عليه وسلم — بأصبعه هكذا أمام الآلاف الذين أمامه في حجة الوداع عندما خطبهم و استشهدهم كما في حديث جابر وغيره قال : ﴿ إِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ عَنِّي فَمَاذَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ﴾ قالوا : نشهد أنك قد بلغت ، ورفع يده إلى السماء وقال : ﴿ اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ ﴾ ثم يقول : ﴿ أَلَا هَلْ بَلَّغْتَ ﴾ يقولون : نعم فيمكنكها إليهم يقول : ﴿ أَلَا هَلْ بَلَّغْتَ ﴾ فيقولون : نعم ، فيرفعها إلى السماء قائلا : ﴿ اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ ﴾ يُكرّر ذلك مرّات عليه الصلاة والسلام ، رفع الإصبع إلى السماء قائلا : ﴿ اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ ﴾ ويُشير إلى السماء أمام الجموع التي أمامه ، ماذا يعني هذا ؟ هذا كله فيه الدلالة الواضحة على الإيمان بعلو الله تبارك وتعالى على خلقه علواً يليقُ بجلاله وكماله وعظمته سبحانه .

والآيات كما قلّت في هذا الباب وفي هذا المعنى كثيرة جداً في كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، والواجب على المسلم أن يكون في هذا الباب مع الكتاب والسنة لا يتجاوز القرآن والحديث ، إذا قال لك قائل أين الله ؟ ثم قلت الرحمن على العرش استوى ، أي شيء فعلت ، أي شيء قلت ؟ قلت كلام الله رب العالمين لم تزد عليه ، إذا قيل لك أين الله ؟ فقلت في السماء ، لم تزد على ما جاء في القرآن وعلى ما جاء في سنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام فالواجب على المسلم أن يكون في كلامه في هذا الباب متقيداً بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله — صلوات الله وسلامه عليه — وأن يحذر غاية الحذر من الذين يلحدون في أسماء الله ويلحدون في صفات الله جلّ وعلا بنفيها أو تعطيلها أو جحدّها متعلّقين بشبهاتٍ ما أنزل الله بها من سلطان ، ومُشكِلة هؤلاء أنّهم يتتبعون المتشابه ويتركون الآيات المحكمات البينات التي هي بالعشرات بل بالمئات بل بالآلاف ، يعني تأملوا في هذا الباب يترك بعضهم كلّ هذه الآيات ويقول : الله في كلّ مكان والدليل قول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾ فانظر كيف يقع هؤلاء في مثل هذا الخطأ يدع الآيات البينات ثم يتعلّق بأمرٍ اشتبه عليه فهمه بل فهمه فهماً خاطئاً

ولو سألنا الآن ما المراد بقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾ هل المراد به أنه موجود في السماء وموجود في الأرض أي : بذاته في كل مكان حاشَ والله هذا يتناف مع آيات العلو ، ما المراد ب ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ ﴾ ما معنى إله ؟ الذي لا يفهم معنى إله في لغة العرب يقع هنا في الخطأ ، عندما تقول : لا إله إلا الله ما معناها ؟ لا معبود بحق إلا الله ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ ﴾ أي : وهو الذي معبود في السماء ومعبود في الأرض ، في السماء تعبده الملائكة وفي الأرض يعبده من شاء من خلقه هذا معناها وهو واضح ويبين لمن يفهم كلام الله عز وجل ويفهم دلالة اللغة ، فيتعلق بأشياء تشبه عليه ويترك أموراً مُحكمة ، مثال آخر : يأتي إلى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ ويُجَرِّد هذه الآية من أولها ومن آخرها ويقتطع من الآية هذا الجزء : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ إلا هو معهم أين ما كانوا ، فيستدل به على ماذا ؟ على هذا القول الباطل — إن الله في كل مكان — ، السلف — رحمة الله عليهم — لما ردوا على هؤلاء ماذا قالوا ؟ قالوا اقرأ الآية كاملة هذا هو الرد ، اقرأ الآية كاملة من أولها إلى آخرها لا تأتي وتقتطع منها جزءاً بل اقرأ الآية من أولها إلى تمامها ، إذا قرأتها بتمامها عرفت أن المراد بقوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ إلا هو معهم أين ما كانوا أي : بعلمه ، لأنه سبحانه وتعالى قال : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَتَرَلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَخْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ بدأ الخبر بالعلم وختمه بالعلم ، وكذلك في الآية التي في سورة الحديد ، الحديد كله في الإخبار عن إحاطة علم الله سبحانه وتعالى فقوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ إلا هو معهم أينما كانوا المراد بذلك أي : بعلمه لدلالة السباق والسياق واللاحاق على ذلك أمّا أن يأتي الإنسان ويتنزع جزءاً من الآية ويُجَرِّدُها عن أولها ويُجَرِّدُها عن آخرها ثم يستدل بها على فهم باطل ثم يضرب بها الآيات التي هي بالعشرات بل بالملئات ثم ينفي علو الله تبارك وتعالى فهذه ليست طريقة من أراد الهدى والصواب ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا

تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءُ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءُ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴿١٠﴾

والمسلم له هذه الجادة الواضحة جادة أهل السنة والجماعة بأن يدور في هذا الباب مع كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام فيثبت ما أثبتته الله لنفسه وما أثبتته له رسوله عليه الصلاة والسلام وينفي ما نفاه الله عن نفسه وما نفاه عنه رسوله — صلى الله عليه وسلم — فهذه هي الجادة المستقيمة التي لا يسع أحدٌ من المكلفين ومن عباد الله أن يسلك غيرها .

وأسأل الله تبارك وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يوفقنا وإياكم البصيرة في دينه وللفقه في كتابه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، وأن يهدينا إليه صراطاً مستقيماً ، وأن يُعيذنا من البدع كلّها ما ظهر منها وما بطن ، وأن يُصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأن يُصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأن يُصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا وأن يجعل الحياة زيادة لنا في كل خير والموت راحةً لنا من كل شرٍّ وأن يُصلح لنا شأننا كلّهُ إنه تبارك وتعالى سميعُ الدعاء وهو أهلُ الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل .

قام بتفريغها

حيدر